أسلوب الخطاب في رسائل من العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢) ق.م

أ.م عثمان غانم محمد
كلية الآثار – جامعة الموصل

Abstract

The Style of the Discourse in Neo-Assyrian Letters (911-612) B.C

Othman Ghanim Mohammad
College of Archaeology
University of Mosul

The ancient Iraqis created the cuneiform writing five thousand years ago. The excavations provided us with hundreds of thousands of cuneiform texts. In fact, the use of cuneiform lasted for three thousand years. These texts gave us good knowledge in the fields of history, culture and other fields. As for the ancient Iraqi literature. It has been tackled by many translations and studies .Their essential sources are the literary genres such as the epics, legends, incantations and others. It must be mentioned that the literary studies are less than other studies in spite of the large quantity of various cuneiform texts including the letters which are the main topic of our study.

The present research concentrates on the study of some of discourse style in letter writing in the Neo-Assyrian period. As it is known that these letters were written in Akkadian with its two dialects namely Neo-Assyrian and Neo-Babylonian. These are official letters which represent the official discourse

characterized by its declarative features which were highly different from the ordinary discourse. The literary discourse cannot be ignored and it must be studied and well analyzed.

This reflected the reality of the history of Ancient Iraq which lasted nearly three centuries (911-612 B.C.).This is the New –Assyrian period. In this research, the letters are classified according to their subject matter such as complaining, sarcasm, praise, satire, threatening, proverb and wisdom.

This research is concerned with the rhetorical study through which the verbs can be pointed out linguistically taking into consideration the phonetic aspects. It can also go through psycholinguistics. This can be achieved by examining all the mental activities expressed by these verbs. This is called psycholinguistics which is a branch of psychology that enable us to make a comparison between the cultural heritage of the ancient Iraqis and the present time.

المقدمة

ابتكر العراقيون القدماء الكتابة المسمارية قبل أكثر من خمسة آلاف عام ، وقد أمدتنا التنقيبات الآثارية بمئات الألوف من النصوص المدونة بالخط المسماري ، الذي دام استخدامه في التدوين بما يقارب من ثلاثة آلاف عام أو يزيد ، فأثرتنا هذه النصوص بمعلومات غزيرة من النواحي السياسيّة و الحضارية وغيرهما. وفيما يخص جانب الأدب الذي نحن بصدد دراسته ، فقد صدرت العديد من التراجم والدراسات تناولت أدب العراق القديم , اعتمد اغلبها على نصوص ذات طابع أدبي ، من ملاحم ، وأساطير ، وصلوات ، وتراتيل ، وغيرها. وعلى الرغم من ذلك تعدّ البحوث الأدبية البلاغيّة قليلة مقارنة مع الكم الهائل من النصوص المسمارية المنوعة الأخرى , ومنها الرسائل التي اعتمد عليها البحث.

يهدف البحث لدراسة بعضٌ من أساليب الخطاب في رسائل من العصر الآشوري الحديث ، وكما هو معروف فإن هذه الرسائل دونت باللغة الأكدية بلهجتيها الآشورية الحديثة والبابلية الحديثة ، وهي رسائل رسمية تمثل خطابا رسميا تميز بطابعه الإخباري الذي يختلف عن الخطاب المعتاد بكونه ذا صيغة أدبية لا يمكن التغافل عنها وتركها من دون دراسة وتحليل.

وهي تعكس واقعاً لأحداث وقعت في تاريخ العراق القديم ، امتد ما يقارب من ثلاثة قرون (٩١١ – ٦١٢ ق.م) ، وهي حقبة العصر الآشوري الحديث . وصنِّفت الرسائل في هذا البحث وفق موضوعاتها من شكوى ، تهكُّم ، وعيد ، مدح ، هجو ، انتقاد ، مَثَل وحكمة .

فهذا بحث يهتم بدراسة بلاغية ، يمكن عن طريقها تناول أفعال اللغة من الوِجهة اللسانية عبر فحص شكل الملفوظ ، ويمكن أيضاً تناول الوِجهة النفسيَّة–اللسانيَّة ، وذلك عبر فحص العمليات الذهنيَّة التي تقوم عليها أفعال اللغة وتُعبِّر عنها ، وهذا ما يُسمَّى علم النفس اللساني ، وهو فرع من فروع علم النفس[١] ، يمكن أن يترتب عليه مقارنة بين الموروث الحضاري للعراقيين القدماء مع الوقت الحاضر .

تمهيد

الخطاب هو قول يفترض متكلِّماً ومُخاطباً ، ويتضمن رغبة الأول بالتأثير في الثاني بشكل من الأشكال، وهذا يشمل الخطاب الشفهي بكل أنواعه ، ويشمل الخطاب الخطي (من رسائل ومذكّرات وغيرها) الذي يستعير وسائل الخطاب الشفهي وغايته ، أي أنّه خطاب يتوجّه من شخص إلى آخر مُعبِّراً عن نفسه بصيغة المتكلم [٢] . أمّا الأسلوب فهو طريقة وضع الأفكار في كلمات ، أو وضع الكلمات الملائمة في المواضع الملائمة [٣] .

وكما نوهنا آنفاً ، فأنَّ مادة البحث اعتمدت على الرسائل: وهي إشارات أو علامات قابلة للنقل يبعث بها المُرسِل إلى المُرسَل إليه بواسطة وسيلة نقل ، يتولد من نقل الرسالة إعطاء معلومات أو أوامر استفهام ، هي لب الرسالة ، وكل رسالة تتطلب سياقاً ووضعاً ، فهي بذلك تشير إلى حدث معين ، ويمكن توضيح مصطلحات الرسالة كالآتي:

١–الرسالة : السرد .

٢– شكل الرسالة : مبناها أي الحروف والكلمات و قواعد تركيبها .

٣- مضمون الرسالة : ما يفهمه القارئ منها ، أي المعلومات .

٤- شفرة الرسالة : اللغة المُدوَّنة بها [٤].

من خلال الرسائل التي تم الاعتماد عليها في البحث ، وجدنا أن الرسالة تمثّل حدثاً معيَّناً ، ويمكن تعريف الحدث بأنَّه كل ما يؤدي إلى تغيير أمر أو خلق حركة ، ولعل النظام الأكثر شيوعاً في دراسته هو ذلك الذي يقوم على ستة عوامل أو وظائف يمكن ترجمتها : بالذات ، وموضوع الرغبة ، والمُرسِل ، والمُرسَل إليه والمساعد والمُعاكس . يبدأ الحدث عندما تنشأ رغبة أو حاجة أو خوف(موضوع الرغبة) فتسعى إحدى القوى بتحقيق تلك الرغبة (الذات) ، متأثرة بقوة مُحرِّكة أو مُحرِّضة (المُرسِل) وهادفة إلى إرضاء قوَّة أُخرى (ألمُرسَل إليه) فتصطدم بقوَّة مُعارضة (المُعاكس) تلاقي قوَّة مُساعدة (المُساعد) ، وهذه العوامل الستة لا تتمثل دائماً بالشخصيات فقد تكون أفكاراً أو معتقدات أو قوى طبيعيَّة ، ويمكن أن تقوم شخصيَّة واحدة بوظيفتين أو أكثر[٥].

وقد تناولنا الحدث من ناحية الدال وهو الجانب المُدرك للعلامة (أي الرسالة) ، ويرتبط الدال بالمدلول فهناك صورة محسوسة بينهما ، ولا يمكن لِأحدهما أن يُوجد خارج علاقته بالآخر ، فالمدلول هو الجانب ألمفهومي للعلامة الرسالة [٦] .

في جميع المحاور التي تناولها البحث بينا أن الرسالة مبنيَّة على :

دال وهو يمثل حدثاً معيَّناً وهو لب الرسالة ، والذي تمثَّل بعبارة يمكننا القول أنَّها الرئيسة في النص أي الرسالة ، وفي الغالب تمثَّلت هذه العِبارة بخِطابٍ مباشرٍ: وهو خطاب منقول حرفيَّاً بصيغة المتكلم ، يأتي غالباً بعد فِعل القول ، ففي الرسائل المكتوبة باللهجة الآشوريَّة الحديثة عادةً ما يُفتتح الخطاب المباشر بالمفردة (ma أو ma-a بمعنى الآتي: ، وهناك مفردة أخرى تحمل المعنى ذاته وهي nuk أو muk أو حتى بإحدى علامتي الترقيم الآشوريتين (,) والتي تعادل النقطتين : في إحدى معانيها) [٧] أما في الرسائل المدونة باللهجة البابلية الحديثة فيفتتح الكلام المباشر بالمفردة (umma بمعنى الآتي :)[٨]

إذ يمثل الخطاب المباشر شخصيَّة المرسِل لِتُعبِّر بصوتها ولهجتها وألفاظها ، مما يُعطي النص حيويَّة وقوَّة تعبير ، فتصبح ضمائر المتكلم والخطاب وعلامات المكان والزمان تابعاً لعالمها [٩]

ومن ثم **المدلول** وهو ما يُفهم من الدال ، آخذين بالحسبان تفسير هذا المفهوم (المدلول) اعتمادا على تفاصيل الرسالة ، وإعطاء خلفيَّة عن النص من الخارج .

وأخيراً **دلالة** النص (الرسالة) من شكوى وتهكم ووعيد وحسب عناوين المحاور التي تنولها البحث , وكما هو موضَّح في المثال الآتي :

الدال : لماذا الملك يمسك خاصِرَته ؟

المدلول : تفسير الرسالة (المُرسِل والمُرسَل إليه ، والزمن ، والمكان ، تفاصيل الرسالة لكي توضح معنى الدال ، وذلك بقدر ما يسعفنا النص من معلومات)

الدلالة : شكوى .

وهذا أسلوبٌ في الخطاب لطيف المأخذ ، نرى فيه معانٍ أُخفي وجهها ، فلم يُصَرَّح بذكرها مكشوفاً عن وجهها ، ولكن مَدلولاً بغيرها ، فكان هذا أفخم لشأنها ، وألطف لمكانها ، فهي لم تلق إلى السامع مُصرَّحاً بها، ولكن جاءته من جانب التعريض والتشبيه والرمز والإشارة ، فكان بها من الحسن والرونق قلّ نظيره ، إذ نرى مدح الرجل أو ذمّه دون التصريح بذلك [١٠] .

جماليَّة الشكوى

الشكوى في الاصطلاح ، هي تعبير عن الأسف أو إدانة فعل معيَّن ، أو شكاة متصلة من سوء حال المجتمع والزمان[١١] . ومن أمثلة ذلك :

a-na ŠU.2 UR.KU.MEŠ muš-šu-ra-ni am-mì-ni TIN.TIR.KI

gab-bi ŠU.2-su-nu a-na be-lí-ia i-de-ek-ku-ú u be-lí sa-ki-it [12]

بيد الكلاب متروكين ، لماذا ، كل أهل بابل يرفعون أيديهم إلى سيدي ، وسيدي ساكت ؟

وردت هذه العِبارة في رسالة يُرجَّح أنّها من (بيل-إقيشا) وهو كاهن مَعبَدَي (ساك-إيلا وزيدّا) في مدينة بابل أرسلها إلى (نابو-شَرُّو-اوصُر) وزير الملك الآشوري . وفي أغلب الظن تعود هذه الرسالة إلى عام(٧١٠ ق.م) تقريباً ، أثناء تمرد (مردوك-ابلا-ادِّنا) ضد الملك الآشوري شَرُّ- كين[١٣] ، مبيِّناً كاتب الرسالة أنَّ أهل بابل في حالة خوف[١٤].

يشير أسلوب الرسالة إلى قصديه جمالية ، تقصَّد المرسل تكوينها ، حين استعمل في استهلالها أُسلوب الاستفهام [١٥] (لماذا) وكما هو معروف طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل . وقد خرج

الاستفهام هنا إلى معنىً ثانٍ هو التعجب لأنَّ بينهما مناسبة ، فهما يشتركان في أنَّ كلاً منهما يكون عمَّا خُفي سببُه [١٦] ، (بيد الكلاب متروكين ، لماذا ؟) ، فالمُرسِل يسأل : هل يصح أنَّهم يُتركوا بيد الكلاب ، وهذا يعكس عمقا ً مأساويّاً جعله يُشبِّه حاله بمن وقع بيد (كلاب) ، فضلاً عن لفظ (يد) الذي يدل على القوَّة والبطش الذي تعرَّضوا له ، ثم أنَّه استعمل صيغة الجمع أي عموم الشعب بكل طبقاته . و من جهة أُخرى فمعنى رفع الأيدي فيه إشارة إلى الطلب بإلحاح ، ولفظة سيدي تُشعِر بالخضوع والانقياد ، فهنا شكوى ممزوجة بالطاعة والولاء .

am-mì-ni LUGAL be-lí-a-ni i-na šu-lum a-na É-[šu] i-ru-ba-am
LÚ.AK[IN š]á LUGAL a-na pa-an UR.KU.MEŠ [an-nu-ti] la
il-li- ka [17]

لماذا سيّدُنا الملك ، بسلم يَدخُلُ بيته . و(لكن) رسول الملك لم يأتِ بوجه هؤلاءِ الكلاب ؟

ورد في رسالة من (نابو- شومو- ليشر و أقار - بيل - لومُر) إلى (بيل - إبني) نائب الملك الآشوري سين - أخي - إريبا على بلاد بابل ، وقد ذكر أيضاً في هذه الرسالة اسم المتمرد مردوك -ابلا - إدِّنا ، إذ نقلت هذه الرسالة القلق من تركهم دون معونة [١٨] .

في سياق المثال السابق نفسه ، وفي الحدث التاريخي ذاته ، نجد في هذه الشكوى استفهاما مُراداً به الاستبطاء ، أي عدّه بطيئاً في الإجابة وإرسال العون لهم ، ونرى أيضاً تعجُّباً واضحاً عن حال الملك الذي ينعم بالسلم ، وهم في تلك الظروف .

am-mì-ni LUGAL qab-lí-[šú] i-rak-ka- si [19]

لماذا الملك يربط (يمسك) خاصرته ؟

في رسالة أُخرى تعود إلى الأشخاص ذاتهم (اي المُرسِلون و المُرسَل إليه) في الرسالة السابقة ، ذَكر المُرسِلون على لسان (شولا) البصَّار هذا القول ، إذ قاله والدموع تنزل على لحيته (ذقنه) حسبما ذكر النص، وهو يُطالب أن يُعامَلَ باحترام ، فهو في أرض العدو، وهذا ما عرفناه من الرسالة ، إلاّ أَنَّ هناك كسر فيها ، منعنا من معرفة باقي التفاصيل[٢٠].

يلاحظ أنَّ الشكوى جاءت هنا بأسلوب الاستفهام الذي يخرج إلى معنى التعريض ، و التعريض ضد التصريح ، وهو إبهام المقصود بما لم يوضع له لفظ حقيقة ولا مجازاً ، وهو أن تُضَمِّن كلامك ، ما يصلح للدلالة على المقصود و غير المقصود ، إلا إن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح ، كقول السائل للغني : جئتك لأُسلِّم عليك ، يريد الإشارة إلى طلب شيء منه[٢١] ، وفي المثال أعلاه (ربط الخاصرة) يشير إلى واقعُ حال قائله وهو مُهمل في أرض العدو ، من دون معونة أو التفاتة من الملك الذي يقف وقفة المتفرِّج دون حِراك .

وهناك قول مشابه لهذا القول (الملك يربط خاصرته) ، ورد في رسالة يشكي المُرسِلُ فيها إلى الملكَ بأنه لم يُعامل باحترام وأنه حُرِمَ من أراضيه[٢٢] .

a-ta be-lí qa- la ana-ku a-ki : UR.KU a-sa-bu a-du- al-la [23]

لماذا سيدي ساكن (أي بدون حركة) وأنا كَـ : الكلب أهزّ ذيلي وأخدم ؟

ورد في رسالة من (آشور – ريصو) رجل الاستخبارات الآشوري ، إلى نائب الملك ، مناشداً إيّاه فيها بإرجاعه إلى عمله الذي فُصل منه .

ويلاحظ هنا أن الشكوى عبّر عنها أسلوب الاستفهام الخارج إلى معنى الإنكار ، ونجد فيها تشبيهاً ، والتشبيه : بيان أنَّ شيئاً شارك غيره في صفة أو أكثر ، ويتم التشبيه بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة [٢٤] ، وقد شبَّه صاحب القول نفسه بالكلب ، ووجه التشبيه هنا هو الطاعة والخدمة .

ونودُّ الإشارة في هذا الموقف إلى ورود استعمال رمزيَّة الكلب كثيراً في الرسائل الآشورية ، للدلالة على عدّةِ معانٍ نذكر منها :

١) الدلالة على الأعداء ، كما ورد في المثالين المذكورين آنفاً .

٢) الدلالة على عمليَّة الخدمة والطاعة كما في المثال الأخير

٣) الدلالة على الأسى والجوع :

ki-i kal-bi ina si-in-qi ina bu-bu-ti ša NINDA.HI.A

lu la a-mu-a'-at [25]

كالكلب من الأسى (و)من جوع الخبز ، عسى ألَّا اموت .

٤) الدلالة على التواضع وتقليل الشأن ، كما جاء في افتتاحية إحدى الرسائل:

[kal-bi me-e-te a-n]a-ku LUGAL EN-ia u-ba-liṭ-a-ni

[su-un-qí ù bu-]bu-ti ul-tak-šid-an-ni [26]

(كنت) كلباً ميّتاً أنا ، (ولكن) سيدي الملك أحياني (و) مكنني من غلب جوعي والحرمان .

التَهَكُّم

يقال تهكمتِ البئر ، إذا تساقطت جوانبها ، وهو في مصطلح علم البيان عبارة عن إخراج الكلام على ضد مقتضى الحال استهزاء بالمخاطب[٢٧] ، والتهكُّم الاستهزاء والاستخفاف ، والتهكّم الغضب الشديد ، وهو التهدُّم من الغيظ والحمق[٢٨]، والتهكُّم هو ما كان ظاهره جدَّاً و باطنه هزلاً ، والهزل الذي يُراد به الجد ، ولا تخلو ألفاظ التهكُّم من اللفظ الدّال على نوع من أنواع الذم أو لفظة من معناها الهجو [٢٩] .

a-ta -a : LÚ.A-šip-ri ša PAP-ia : qàl-li [la il-li-k]a : ma-a i-lu-u

ina IGI -šu e-ra-b[a] [30]

لماذا : رسول أخي : الصغير لم يأتِ : هل تزوره الآلهة ؟

في رسالة من (شا – آشور – دُبُّو) حاكم توشان ، يُعتقد أنّها مرسلة إلى الملك الآشوري شرُّو– كين (الثاني) ، تحتوي على عدَّة تقارير ، جاء في نهايتها هذا القول على لسان حاكم بولويا ، مُوَجَّهاً إلى نظيره حاكم توشان ، مُفَسِّراً (الأخير) ملابسات الموضوع للملك الآشوري ، إلا أنّنا لم نعرف التفاصيل لوجود كسر في النص .

لقد عزى صاحب هذا القول سبب عدم مجيء الشخص الرسول بالعبارة الاستفهامية : هل تزوره الآلهة ؟ ، وهذا أُسلوبٌ استفهامي خرج إلى معنى التهكم والسخرية ، و نرى فيه الهزء والوعيد والذم والهجو ، من جانب قائله حاكم بولويا ضد نظيره حاكم توشان الذي نُعت بالأخ الصغير، لأن كليهما حاكم تابع للملك الآشوري ، وقد نعت هذا الحاكم نظيره بأخي الصغير فيه دلالة على تمتعه بالقوة ، والدليل على ذلك أن حاكم توشان نقل هذا القول الى الملك الآشوري .

al-[k]a ina GÌR.2.ME-ia al-la-ka la-a GIŠ.GIGIR la
ú-ra-a-a la-a LÚ-mu-kil-KUŠ.PA.MEŠ-ia (31)

سآتي على قدمَيّ سآتي بلا مركبة (و) لا بغالي (و) لا سائقي .

من ماخدي الى الملك الآشوري شرُّو – كين (الثاني) ، مبيِّناً أنَّ مجموعة البغال المخصصة له قد جاء بشأنها حارس الملك للذهاب بها إلى مدينة (شوبيرتو) ، فهو لم يعارض ذلك ، ولكن يريد أَن يعلم الملك أن بغاله قد استهلكت ، وهو يعلم أنّه في حال أخذها فإنها لن تُرجَع إليه ، وأنَّه في حال طلبه الملك ، فعندها سيكون هذا جوابه .

نرى في هذا القول دلالةٌ واضحةٌ على التهكم واستهانة بالحال ، فهو يزعم انه سيأتي ، فالمعنى الحرفي بخلاف المعنى المقصود ، أي ضدّ مقتضى الحال ، فهو هنا ظاهره جدّاً وباطنه هزلاً ، وذلك بيّن في الجواب المُفترض لصاحبه الذي كرر كلمة سآتي : على قَدَمَيّ وبلا بغال ولا قائد ولا مركبة ، ولكن عملية المجيء مستحيلة على هذا الحال .

يُلاحظ في المثال أعلاه تقدم الأفعال في بدايات تركيب الجُمل ، على النقيض من السياق العام في الجملة الأكدية : (فاعل ، مفعول به ، فعل) .

TA ŠÀ-bi-ka la ta-ad -bu-u-bu ma-a ki-i na-šu-ú
re-ši-šu-nu il-la-kan-ni ma-a pa-ni-ia ina É man-
-nu a-šak-kan (32)

ألم تقل لنفسك الآتي: عندما أُريد أن أذهب لجمعهم : إلى بيت مَن عليّ أن أذهب .

الملك الآشوري شرُّو – كين (الثاني) يوبِّخ (مَنُّو– كي – ادد) ، لأنَّه شتت الجيوش في مهام صغيرة ، مطالباً إيَّاه بجمعها قبل وصول مبعوث الملك ، ليقوم بتعدادهم .

ويظهر ها هنا الأسلوب التهكمي بالاستهزاء من كيفيَّة جمع الجيوش التي تساءل عنها الملك (إلى بيت من عليَّ ان اذهب ؟) وهو أسلوب استفهامي فيه تعريض ، والغضب واضح في طريقة استفهام الملك ، وطلبه بعد ذلك مِن المُرسَل إليه جمعهم بالسرعة القصوى .

أُسلوب الوعيد

وَعَدَ : كلمة تدل على تَرجِية بِقَول . يُقال : وَعَدتَهُ أعِدَهُ وَعداً . وأمَّا الوعيد : فلا يكونُ إلاّ بِشَر .

يقولون : أوعدتهُ بِكذا [٣٣] .

TA É-an-ni a-pa-ra-as-ka *(34)*

سَأُقَطِّعُكَ من الداخل[٣٥] (سأُقطَّع أحشائك) .

وفيه يتوعد كاتب رئيس القصر على (بيل – إقيشا) ، وقد نقل الأخير هذا القول مشتكياً إلى الملك الآشوري آشور – أخي – إدِّن ، وذلك لأنّ بيل – إقيشا طالَبَ كاتب القصر بحصص أعلاف الخيول المخصصة له ، وقد أظهر الشخص المُهَدَّد المخافة ونقلها إلى الملك الآشوري أملاً بتوفير الحماية ، ونلحظ انسجام استعمال زمن الفعل مع فعل الوعيد (أُقطَّع) في المستقبل .

qí-ri-ib ina IGI Á.2- e -[a] *(36)*

ادخلوا (اقتربوا) قبل ذِراعَيَّ !

في رسالة من (بيل – اوصُر) إلى الملك الآشوري آشور– أخي – إدِّن ، بخصوص قول الملك أعلاه ، الذي قاله لخدَمه بحالة غضب وهو في مدينة أربيلا ، ويظهر من خلال هذا الأمر تهديد شديد الوطأة ، وبحالة بكاء حسب ما جاء في النص فسَّر بيل – اوصر اسباب عدم وصوله بالسرعة الفائقة حسب أمر الملك ، ملتمساً عفوه وصفحه لخدمه المعتادين الوصول أمام حظرته ، وهذا ما عرفناه من تفاصيل الرسالة.

a-şa-bat ina ŠÀ si- bar -[ri] e-si-ip-ka *(37)*

سأضبطك وأقيدك بالسلسلة .

رسالة بدايتها متضررة ، ولكن من الواضح أنَّ فيها حاكماً قد توعدَّ حاكماً آخراً ، وقد نقَل الأخير هذا القول إلى الملك آشور – أخي – إدِّن مستنجداً به ، (وهذان الحاكمان تابعان للملك الآشوري)

في هذا القول تهديد شديد مُحقق ، أو فيه تحذير يريد أن يقول له : إنَّك قربت من المهلكة فاحذر ، إذ

يصف هذا الحاكم (المُرسِل) سوء حاله قائلاً :

de -ek-tú a-[a-š]i lib-bi i-[k]aš-šad (38)

قتيلٌ أنا ، سيصل قلبي .

ونلحظ أنّ الأفعال في زمن المضارع والأمر المذكورة في الأمثلة آنفاً ، قد عبّرت بصورة جلية عن التهديد والوعيد الذي عبّرت عنه سياق هذه الرسائل .

المدح

المدح هو حسن الإطراء والثناء ، وهو نقيض الهجو ، ومن أمثلة ذلك :

ša ina AN-e la e-piš-u-ni LUGAL be-lí ina kaq-qi-ri
e-tap-paš uk-ta-li-im-a-na- ši (39)

الشيء الذي لم يُفعل في السماء ، فعله سيدي الملك على الأرض وأرانا :

أدد – شومو– اوصُر معوِّذ الملك ، مرسلاً إلى الملك الآشوري آشور – أخي – إدِّن بخصوص تنصيب ابنه الأصغر آشور– بان – أبلي على العرش الآشوري ، وابنه البكر شمش – شومو – اوكن حاكماً على بلاد بابل ، بخلاف المعهود بأنَّ الابن البكر هو الذي يتسلم ولاية العهد . ويضيف المرسل أنَّه كان الأجدر، وحسب ما جرت عليه العادة بأن يضع الملك الابن الأكبر على يمينه والثاني على شماله ، ولكن حكمته جعلته يخالف المعهود .

لقد شُبِّهت الآلهة بالبشر في المعتقدات العراقية القديمة ، وهناك مجلس الآلهة في السماء مجلس (الإكيكي) حيث تجتمع فيه الآلهة لتنظم أمورها وتقرر المصائر(٤٠) ، فالقارئ للقول أعلاه يعتقد لأول وهلة إنَّه انتقد الملك مستغرباً من هذا التصرف المخالف للمألوف ، بل حتى أن الآلهة لم تُقدم على مثل هكذا عملٍ في السماء ، ولكن هذه الرسالة فيها دلالة على **مدح** الملك وليس الانتقاد ، وهو أُسلوب في الكناية والتعريض ، فالكناية لفظ أُريد به غير معناه الذي وضع له ، والتعريض في الكلام : هو في علم البيان إحالة الكلام عن معناه الوصفي الحقيقي إلى معنى آخر مُراد ، كقول الشاعر:

وما يكُ فيَّ من عيب فإني جبان الكلب مهزول الفصيل

فقد أراد القائل مدح نفسه بالقِرى والضيافة ، فكنَّ عن ذلك بجبن الكلب الذي لا يهر في وجه الضيوف ، وإنه ينحر المتالي (تطلق على أولاد النوق لأنها تتلوه وتتبعها) وبذلك فهو يدع فصاله هزلى[٤١] .

الهجو

وهو ضد المدح ، وأصله في العربيّة الهدم ، وهو يتناول الفاعل والموصوف [٤٢] . ومن أمثلة ذلك :

3 an-nu-te ERIM.MEŠ šá-ak-ra-nu-tú šú-nu ki-ma

i-šak-ki-ru LÚ GIR AN.BAR TA pa-an mi-hi-ri-šu

la ú-sa-ah-(ha)-ra *(43)*

هؤلاء الثلاثة جنود سكيرين ، عندما هم يسكروا ، لا أحد يرجع السيف عن وجه قرينه .

ورد هذا القول في رسالة من بيل – إقيشا إلى الملك الآشوري ، بحق ثلاثة جنود قد رفَّع الملك مناصبهم إلى : رب – كصري و دائم (مرتبة ثالثة) و حارس .

لقد وصف المرسل هؤلاء الجنود بالسكِّيرين ، ووصف فعلهم بأنهم مستعدين للقتل (لا أحد يرجع سيفه عن وجه صاحبه) ، وعليه فإنهم ليسوا أهلاً في استلام تلك المناصب ، فالهدف من الهجاء الحق والتقويم ، و غايته الإصلاح ، وعلى الرغم من أن الهجَّاء عليه أن يلتزم الحذر ، إلاّ أنّه لابد وأن كان يتمتع بحرّية واسعة [٤٤] .

الانتقاد

نَقَدَ : انتقد ، علَّق على ، عابَ ، لامَ . نَقَدَ على فلان : عابَهُ على ما فعَله [٤٥] ، ولا بد هنا من الأخذ بالحسبان مركز المرسِل ووظيفته ، وطبيعة السياق الذي وِجِّه فيه الانتقاد

ki-i NA_4.KIŠIB ina li-ba-ni-ka tak-ta-ra-ar- šu *(46)*

(أنت) تضعه في عنقك كالختم .

انتقد شخصٌ لم نعرف اسمه ووظيفته لوجود كسر في مقدمة الرسالة ، الملك شرُّو – كين (الثاني) على اغلب الظن، لأنّه مهتم جداً بأمر (بيل – نوري) ، الذي لا يمكن الوثوق بأقواله ، وأنه ليس جيّداً في أداء العمل ، ومع كلّ ذلك ، فإن الملك متمسك به وقد وضعه في مركز مدينة أرَّابخا (كركوك حالياً) ،

حيث يعامل الناس هناك بالسيف ، وإنَّه (المُرسِل)قام بتعيينه في بلدةِ لُبدا (قرب داقوق جنوب كركوك حاليّاً)، ولكنّ أفعاله لم تتغيَّر .

نرى أُسلوب الانتقاد هنا متمثلاً في تشبيهِ تمسك الملك بـ(بيل – نوري) وكأنَّه ختمٌ ملازمٌ لصاحبه ، فمن المعروف ، وممَّا يتبيَّن من هذا التشبيه ، أنَّ صاحب الختم كان يضعُ ختمَهُ في عُنُقِه كالقلادة . والتشبيه في اللغة ، الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى ، فالأمر الأوَّل هو المُشَبَّه (الشخص) ، والأمر الثاني هو المُشَبَّه به (الختم) ، وذلك المعنى هو وجه التشبيه (معنى الملازمة) [٤٧] .

ويعاتب منتقداً المُرسِلُ الملكَ مُجددا :

ina ŠÀ ta-ra-an-šu ina ŠÀ mi-i-ni la ú-ra-a-mu-an -ni [48]

تُريده لهذا الشيء ، على أي شيء لا تُريدُني ؟

a-na am- mì-i-ni is-si-niš tu-ú-ra [49]

لماذا تردد الكلام نفسه.

في رسالة من مدينة نينوى موَجَّهة من الكاهن إلى ولي العهد الآشوري آشور – باني – ابلي ، يجيبه على رسائل سابقة ، بالكلام أعلاه ، حيث إنَّ ولي العهد كان يكرر مطالبته له بالذهاب إلى المدينة الداخليِّة (آشور) ، ولم يكن هذا الوقت وقت الأضاحي ، وليس هناك طقوس دينية . ويقول (المُرسِل) الكاهن في الرسالة : فليخرج ولي العهد كي أرى وجهه وآخذ الأمر منه ، وبعدها أذهب إلى أي مكان يُريده ، ويضيف فيها قائلاً :

a-na am-mì-i-ni di-ib-bi ma-a'-d[u]-ti a-d[a-bu-ub]
an-ni-ú rik-su ša da-ba-a-bi gab-bu [50]

لماذا أتكلمُ كلاماً زائداً ، وهذا هو رَبَّاط الكلام كُلَّه .

ونلحظ في هذه الرسالة أسلوب الاستفهام الذي يخرج إلى معنى الانتقاد والاعتراض .

mi-nam-ma GÌR.2 KUR-aš-šur.KI ta-aṣ-bat-a' [51]

لماذا تمسكون قدمَي بلاد آشور .

وردَ هذا القول في رسالة من (شندباكو) حاكم مدينة نُفَّر ، إلى الملك الآشوري آشور – أخي – إدِّن ، مبيناً له إنّه (المُرسِل) وأخيه (بيل – اوساتي) ، غير مُرحَّبٍ بِهما في بلاد بابل ، فهما يُعَنَّفان بالكلام أعلاه أينما ذهبا ، إلى حدٍّ أنهما لا يستطيعان الخروج خارج بوّابات مدينة نُفَّر . فجاء هذا الانتقاد بأسلوب التعريض ، فعمليّة مسك قدمَي بلاد آشور ، فيها دلالة على أنَّهما من أتباع بلاد آشور ، ومُتَمَسِّكَانِ بها ، وهذا أمرٌ غير مرغوبٌ فيه عند أهلِ نُفَّر و بلاد بابل .

وقد ورد كهذا القول في أكثر من رسالة :

NN GÌR.2 šá LUGAL KUR.aš-šur.KI .....iş-ba-tu (52)

فلان وفلان مسكوا قدمي ملك بلاد آشور .

GÌR.2 LUGAL be-lí-ia aş-şa-bat (53)

أمسكُ قدمَي سيدي الملك .

المثل والحِكمة

المثل والحكمة : قول موجَز لا يُعرف في العادة أصله القديم ، يُعبر عن معنى مُفيد في الحياة ، أو عن حقيقة تتعلق بالواقع المألوف ، و يُعَبَّر عن الأمثال و الحِكم في لغة بسيطة عاديَّة ، قد تكون في بعض الأحيان مجازية أو رمزية (٥٤) ، و المَثَل : المِثل ، والمَثَل المَضروب ، مأخوذ مِن هذا ، لأنَّهُ يُذكَرُ مُوَرَّى بِه عن مِثْلِهِ في المعنى (٥٥) ، وهو اسم لنوع من الكلام وهو ما ترضاه العامَّة والخاصَّة لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ ، ويستعار لفظ المثل للحال ، وهو أبلغ من الحكمة (٥٦) .

و حِكمة سائرة أو قول مأثور : صفة تنعت عبارات موجزة مُحكمة ذات صدق عام ، أو خاصَّة مميزة لطريقة تعليمية خلقيَّة ، تُقدم الموعظة الحسنة في شكل مختصر جامع مانع (٥٧) .

و تنبغي الإشارة إلى أن التنوع في زمن الفعل له تأثيره الدلالي ، فالمثل في الزمن الماضي مُوجَّه إلى شخص وقع منه الحدث الذي قيل المثل في سياقه ، أما المثل في الزمن المستمر (الفعل المضارع) ، فهو مُوجَّه إلى شخص شرع في الحدث ولم ينته منه ، أما المثل في زمن المستقبل ، فهو أمرٌ أو نهي لشخص يتوقع منه خلاف ذلك (٥٨) .مننناااا

UR.KI šá LÚ.DUG.QA.BUR ina ŠÀ UDUN ki-i

i-ru-ba a-na ŠÀ LÚ.DUG.QA.BUR ú-nam-bàh (59)

(إذا) دخلَ كلبُ الخزَّاف الأتون ، (فإنَّه) سَيَنبَحُ على الخَزَّاف .

افتتح الملك الآشوري آشور – أخي – إدِّن ، رسالته المُأثِّرة بهذا المثل الآشوري الشائع ، إلى مَن هُم ليسوا بابليين (ana la LÚ.TIN.TIR.KI.MEŠ [60]) ، في الغالب أنَّ المقصودين بذلك هم قبيلة بيت-دكّوري ورئيسهم (شمش – إبني) ، الذين جيء بهم من قبل بالتهجير إلى بلاد بابل ، ويُرجح أنَّهُ قال ذلك في المدة بين (٦٨٠ – ٦٧٨ ق.م) ، عند حصول التمرد ضدَّ الملك الآشوريّ هناك .

وفي هذا المَثَل شبَّه الملك الآشوري المتمردين الذين سمَّاهم غير بابليين ، بالكلب ، وشبَّه قيامهم بالتمرد ضِدَّه بدخول الكلب في فرن صاحبه (الخَزَّاف) ، فالكلب بدخوله الفرن سيحصل على الدفئ والمأوى من قِبل صاحب الفرون ، فهم كانوا يعيشون تحت سلطة وحماية الملك الآشوري ، وبعد ذلك كان رد الجميل بالعصيان .

ويضيف الملك الآشوري في الرسالة ذاتها مثلاً آخر :

MÍ ha-ţi-tú ina KÁ É-LÚ.DI.KUD KA-ša al-la

šá DAM-šá da-an [61]

كلمات المرأة الخاطئة ، أثقل على باب المحكمة من كلمات زوجها .

فهؤلاء ارتكبوا خطأً ضدّ الآلهة ، ومع ذلك فهم ورئيسهم يحسبون أنهم من أهل بابل ، ويصف ملك آشور رسائلهم الموجَّهة إليه ، مهما كانت طيبة (وهي الكلمات التي قيل المثل أعلاه بشأنها) ، فقد شَبَّهها بأنَّها في تفاهتها : كالريح والزوبعة (الفاتولة في اللهجات العامِّية العراقيَّة) :(TU_{15}.MEŠ me-ha-na-ti [62]) , وإنّه على استعداد لسماع فقط , وقراءة رسائل أهل بابل الأُصلاء .

MÍ.MEŠ-šú-nu ^{d}30 TA AN-e ú-še-ra-da-a-ni [63]

زوجاتهم يرُدُّنَّ القمر من السماء .

ورد هذا المثل في رسالة موجهة إلى الملك الآشوري آشور –أخي – إدِّن ، بحق زوجة (تارصي) ، وزوجة الكاهن أخيه غير الشقيق ، وهما مُتَّهمَان مع أربعة أشخاص آخرين بجريمة قتل في مدينة كوزانا .

ومن الواضح أن هذا المثل يشير إلى شِدَّةِ كيد ومكر هاتين المرأتين .

الهوامش

١) – غاري – بريور ، ماري– نويل ، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات الشيباني ، الجزائر ، ٢٠٠٧ ، ص٨٨ . ، ترجمة عبد القادر فهيم

٢) – زيتوني ، لطيف ، معجم مصطلحات نقد الرواية ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص٨٨ .

٣) – فتحي ، إبراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، صفاقس ، ١٩٨٦ ، ص٢٨

٤) – زيتوني ، المصدر السابق، ص٩٧–٩٨ .

٥) – زيتوني ، المصدر السابق ، ص٧٤ .

٦) – برنس ، جيرالد ، قاموس السرديات ، ترجمة سيد إمام ، القاهرة ، ٢٠٠٣ ، ١٧٩ .

٧) – محمد ، عثمان غانم ، علامات الترقيم في الرسائل الآشورية الحديثة ، بحث قيد النشر في مجلة آثار الرافدين ، جامعة الموصل .

8) - CAD , u , p.101 : b .

٩) – زيتوني ، المصدر السابق ، ص٩١ .

١٠) – الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ط٢ ، بيروت ، ص٢٣٥

١١) – فتحي ، المصدر السابق ، ٢١٢–٢١٣ .

12) - SAA , 17 , p.23 ,N.21:r.4-7 .

١٣) – سعى (مردوك – أبلا – إدِّنا) الثاني ، مرارا في عزل بلاد بابل عن السيطرة الآشورية ، معتمدا على دعم بلاد عيلام في جنوب غرب إيران ، وعلى القبائل ألللآرامية في بلاد بابل من جهة أخرى . وقد نجح في ذلك بحلول عام (٧٢١ ق.م) ، وتحديدا في فترة حكم الملك الآشوري شرُّ– كين الثاني ، لتشمل أغلب فترات حكمه ، إلى أن تمكن الملك الآشوري من قمع تمرد مردك – أبلا –إدِّنا في نهاية حكمه ، وضم بلاد بابل إلى الدولة الآشورية الحديثة ، ولكن بقي مردوك – أبلا إدِّنا زعيما لقبيلة بيت – ياكين .

وبعد مجيء الملك سين – أخي – إريبا إلى العرش الآشوري في حوالي عام(٧٠٥ ق.م) ، سعى مردوك – أبلا – إدِّنا ، لمرة أُخرى في تمردا ته معتمدا على توفير الدعم من بلاد عيلام مجددا ، إلى أن تمكن الملك الآشوري من قمعها ، ونصَّب بيل – إبني حاكما آشوريّاً على بلاد بابل لثلاث سنوات (٧٠٣–٧٠١ ق.م) .

وبعد انشغال الدولة الآشورية بحروبها في الجهة الغربيِّة ، جاءت فرصة مردوك – أبلا إدِّنا ، ليعلن نفسه ملكاً على بلاد بابل ، وإعلان الانفصال ، مما حدا بالملك الآشوري بالعودة إلى عاصمته ، وإعداد جيشاً للقضاء على هذا التمرد ، وبالفعل تم له ذلك ، فأنهى التمردات التي أرهقت الدولة الآشورية لعقدين من الزمن . يُنظر :

أحمد زيدان الحديدي ، تحديات مردوك – ابلا – ادنا (الثاني) ضد الدولة الآشورية (٧٢١ –٧٠٠ ق.م) ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد (١٤) العدد (٢) ، ٢٠٠٧ .

14) SAA , 17 , p.XXIII .

١٥) – عن الاستفهام ومعانيه ينظر :

الدمشقي ، عبد الرحمن حسن بن حبنكة الميداني ، البلاغة العربية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦ .

وعن الاستفهام في اللغة الأكدية ، ينظر :

أمين ، عبد النافع أمين ، الاستفهام في اللغة الأكدية ، دراسة مقارنة ، مجلة آداب الرافدين ، ع ٤٨ ٢٠٠٧ .

١٦) – ابو عبدالله ، احمد بن عمر بن مساعد الحازمي ، شرح الجوهر المكنون

مأخوذ من شبكة الانترنت :

http://alhazme.net

17) - SAA , 17 , p.104 , N.117 : r.9-13 .

18) - SAA , 17 , p.XXVII .

19) - SAA , 17 , p.49 , N.105 : e.11-13 .

20) - SAA , 17 , p.XXVII .

٢١) – العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ، معجم الفروق اللغوية ، ط١ ، قم ، ١٤١٢هـ ، ص١٢٧ .

22) - SAA , 17 , p.43 , N.46 : r.3-4 .

23) - SAA , 15 , p.184 , N.288 : 4-6 .

٢٤.) – الجارم ، علي و أمين ، مصطفى ، البلاغة الواضحة ، جمع وترتيب علي بن نايف الشحود، ج١ ب ت ، ص٢١.

25) - SAA , 16 , p.30 , N.30 : r.3-5 .

26) - SAA , 13 , p.144 , N.173 : 4-3 .

٢٧) – المؤيد العلوي ، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم ، الطراز لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، ج٣ ، بيروت ، ١٤٢٣هـ ، ص٩١ .

٢٨) – الحسيني ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق ، تاج العروس في شرح القاموس ، باب: هكم ، ج٣ ، دار الهداية ، ب ت ، ص١١١ .

٢٩) - الكفوي ، ايوب بن موسى الحسيني القريمي ، الحنفي ، و ابو البقاء الحنفي ، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، ب ت ، ص٣٠٣ .

30) - SAA , 5 , pp.26-27 , N.33 : 18 e-s.1 .

31) - SAA , 5 , p.62 , N.74 : r.10-13 .

32) - SAA , 1 , p. 14 , N.11 : 14-16 .

٣٣) – بن زكريا ، ابو الحسين أحمد بن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، ج٦ باب : وَعَدَ ، طبعة دار الفكر ، ص١٢٥ .

34) - SAA , 16 , p.99 , N.112 : r.2-3 .

٣٥) - إن المعنى الرئيسي للمفردة (É-annu = bitanu) هو : الجزء الداخلي ، أو داخل مبنى ، أو حتَّى داخل جسم الإنسان ، وهنا نرجّح المعنى الأخير ، ينظر : (CAD , b,p.274:b)

36) - SAA , 16 , p.104 , N.121 : 10 .

37) - SAA , 5 , p.43 , N.46 : e.18-19 .

38) - SAA , 5 , p.43 , N.46 : r.7 .

39) - SAA , 10 , p.152 , N.185 : 5-7 .

٤٠)- مجمع الآلهة : تطلق المفردة السومرية (UKKIN) بالسومرية ، و puhrum بالاكدية على مجلس الآلهة . ومن خلال الأساطير نفهم أن مجلس الآلهة كان يقوم بمهام تصريف شؤون الكون ، ويعتقد أن المصطلح igigi يشير إلى آلهة السماء . ينظر: القطبي ، مهند عاشور شناوة ، مجمع الآلهة في حضارة بلاد الرافدين في ضوء النصوص المسمارية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٠ ، ص ٥٠ ، 2٦ .

٤١) الجرجاني ، المصدر السابق ، ص٢٣٥-٢٣٧.

٤٢) - العسكري ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ .

43) - SAA , 16 , p.101 , N.116 : r.4-9

٤٤) – بولارد ، آرثر ، موسوعة المصطلح النقدي ، " الهجاء " ، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٢٩٠ .

٤٥) – آن دوزي ، رينهارت بيتر ، تكملة المعاجم العربية و ترجمة ، محمد سليم النعيمي و جمال الخياط ، ج١٠ ، بغداد ، ١٩٧٩-٢٠٠٠ ، ص٢٨٤ .

46) - SAA , 1 , p.14 , N.12 : 5-6

٤٧) – الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف ، التعريفات ، ج١ ، دار الكتب العلمية ط١ ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص٨٥ .

48) - SAA , 1 , p.14 , N.12 : r.5-6 .

49) - SAA , 13 , pp.228-229 , N.158 : 7-8 .

50) - SAA , 13 , pp.228-229 , N.158 : r.4-12 .

51) SAA , 18 , p.53 , N.70 : 16-17 .

52) SAA , 18 , p.130 , N.158 : 12-13 .

53) SAA , 18 , p.149 , N.181 : 16 .

٥٤) – فتحي ، المصدر السابق ، ص١٤٣ .

٥٥) – أبو الحسين احمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، ج٥ ، دار الفكر ، ١٩٧٩ ، ص٢٩٦ .

٥٦) – الكفوي ، المصدر السابق ، ص ٨٥٢

٥٧) – فتحي ، المصدر السابق ، ص١٤٣.

٥٨) – الحمزاوي ، علاء إسماعيل ، البنى التركيبية للأمثال العامّية ، ب ت ،س ج١ ،ص٧ .

59) SAA , 18 , p.4 , N.1 : 5-7 .

60) SAA , 18 , p.4 , N.1 : 2 .

61) SAA , 18 , p.4 , N.1 : 14-15 .

62) SAA , 18 , p.4 , N.1 : 16 .

63) SAA , 16 , pp.58-61 , N.63 : r.26-27 .